Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بين المقاييس الأخرى التي برزت عهد ذاك ، على اكتناه الأعمال الأدبية ضمن رؤيا الوحدة المتكاملة . بهذا ، يتميز معيار ضومط النقدي عن سواه من المعايير النقدية المعاصرة له بأنه يُمكِّن الفعل الأدبي من أن لا يكون منبراً لعرض القدرات البديعية والتزويقية للكاتب ، محوِّلاً إياه إلى منبر لتأدية رسالة معينة في نقل الفكر وتوصيله إلى الآخرين . وهذه خطوة مهمة في تطور الفعل الأدبي العربي في بدايات العصر الحديث .

والآن يمكن للمرء البحث في أصالة هذه الأفكار التي طرحها جبر ضومط ، وأن يناقش ، من ثم ، موقع هذه الأفكار من محاولة الإنسان العربي للسير في رحلة/ قدر التنوير في تلك الحقبة الممهدة للتاريخ العربي المعاصر . إن بعض أفكار ضومط في هذا المجال هي في الواقع مشابهة لأفكار معروفة جداً في تاريخ الفكر النقدي العربي القديم . ففهمه للأدب عملاً مهمته نقل أفكار الكتّاب قد يتشابه في بعض مناحيه مع فكرة لابن المعتز تعتبر « البيان » سيداً ومقدماً بين المرسلين الذين يُكلفون بنقل الأفكار[٣٦] ، إضافة إلى هذا ، فإن دعوة ضومط الكتّاب لاجتناب الكلمات العربية الغريبة عن بيئة العصر ، لا تختلف كثيراً في منحاها العام عن دعوات مماثلة قال بها نقاد قدماء مثل عبد القاهر الجرجاني وأبي هلال العسكري . فالجرجاني ، على سبيل المثال ، يمتدح فصاحة النص القرآني لأن القرآن لم يستعمل « الغريب » للتعبير عن مراده من الأمور [٣٧] . أما العسكري فكان ينتقد استعمال الغريب من الكلام ويعتبره شراً في الأدب[٣٨] .

لكن ، وعلى الرغم من هذا ، فإن بعض آراء ضومط تبدو غير مألوفة في زمنه ؛ ولعلها لم تكن معروفة بقوة أو بوضوح في التراث النقدي للأدب العربي . يضاف إلى هذا أن بعض المصطلحات الأدبية التي يقدمها ضومط مثل « الاقتصاد » و « الوحدة الكلية » ، وكما سبقت الإشارة إلى هذا الموضوع آنفاً ، لم تكن متداولة من قبل لا في عصره ولا مع من سبقه من دارسي الفعل البلاغي والأدبي . وهنا يجد المرء نفسه مضطراً للالتفات إلى ثقافة ضومط وإلى البيئة التي عاش فيها والمهنة التي زاولها . فيجد أن هناك إمكانية كبرى كانت